عبد السلام ياسين

حوار مع النخبة المُغَرَّبَة

محاضرة ألقيت بدار الثقافة بمدينة الرباط
بتاريخ 27 يونيو 1980

حوارمع النخبة المغربة

محاضرة باللغة الفرنسية

ألقاها الأستاذ عبد السلام ياسين في الرباط،

يوم الجمعة27 يونيو 1980

ترجمها إلى العربية: أحمد الملاخ ومحمد البشيري

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه

مقدمة

لقد كان من النتائج الحميدة للأزمة العالمية الحالية، التي فتحت أمام العالم المضــطرب آفاقا مرعية، أن زعزعت ثقة النخبات المغربة كلها أو الأكثر وعيا منها على الأقل في تحكم الغرب المزعوم في التاريخ. وشعر مناصرو البراجماتية اللبرالية أن الكتلة الرأسمالية في طريقها إلى التفتت، فالأزمة الاقتصـــادية وما واكبها من بؤس كالتضــخم النقدي والبطالة وغير ذلك قضت على التآزر الغربي الذي لم يعد له تأثير يذكر سوى التغرير بأطفال الفكر.

وفقدت الكتلة الشــيوعية بدورها جاذبيتها الأيديولوجية فاتخذت من الإرهاب وســيلتها الوحيدة للســيطرة، داخل الاتحاد الســوفياتي وخارجه، وبدا أن الدعم المادي الذي يلوح به الغرب ليحلب شــفاه الحكام الذين يعانون من وطأة المصـــاعب المالية لا يعدو كونه خدعة ســتنكشــف حقيقتها للعيان عاجلا أو آجلا حينما تزج الكارثة الاقتصـــادية بالنظام الرأســمالي كله في هاوية الإفلاس. أما التدخل

العسكري وتصاعده للظهور كأول قوة إمبريالية في الغد واعتماده على العنف والقهر، فقد كان من السماجة المفضوحة بحيث بدد كل أمل في كون الرفيق الشيوعي الأحمر –بطيبوبته المعهودة– يفكر في شيء آخر غير تدعيم إمبراطوريته ليفرض على المعسكر المواجه له قسمة تميل كفة الميزان فيها لصالح من يمتلك أكبر عدد من الدبابات والطائرات والجنود.

أما فيما يرجع إلينا نحن الإسلاميين أعضاء حزب الله والحاملين لرسالته التي هي رسالة العدالة والتسامح والسلام الكريم، فإننا نعتبر أن الغرب بشقيه الشرقي والغربي لا يكون إلا عالما واحداً كما نعتبر أن هيمنة الإمبرياليتين تمثل تهديدا مزدوجا يجب التصدي له. إن مجتمعاتنا الإسلامية تشكل صيدا مغريا وأراضينا ومواردنا الاقتصادية تعد أوراقا استراتيجية رابحة ينازع فيها الشرق الغربي الغرب الغربي. لقد مكثنا طويلا قبل الإعلان الصوري عن الاستقلال الوطني شعوبا متفرقة، وما نزال بعده يشكلنا الغرب حسب هواه، ويستعمرنا ويستغلنا ويحتقرنا كما يحلو له.

وهكذا فسح الاستعمار الرأسمالي الذي استمر طوال القرنيين الماضيين المجال أمام الاستعمار الجديد ليمارس الاستغلال البشع

نفسـه بشـكل أكثر مخاتلة وطمعا وإن كان أقل تجليا وبروزا من سـابقه، وبين لنا الأخطبوط الشـيوعي الذي اتخذ من أفغانسـتان ميدانا لتجاربه أن فشـــل الإيديولوجية كوســـيلة للتغلغل بواســـطة الأفكار قد عوض بالاحتلال المسلح العنيف.

وكانـت الحـركات التحريريـة قـد وجـدت ســـندهـا الأخلاقي لمقـاومـة المحتل في إيقاظ وتجنيد الشـعور الإسلامي الذي كان نائما لدى الشـعوب الإسـلامية، وبدا لنا غداة الاسـتقلال الصـوري، وفي غمرة الحماس الذي أذكته الأعياد الصـــاخبة، أن بإمكاننا الإفلات من المصـــير الذي فرض علينـا أن نكون مجرد أدوات يتلاعـب بهـا، وظننـا أن بـإمكـانـنـا تحســـين مركزنـا في المعترك الـدولي لنظهر كمجتمعـات عـادلـة كريمـة وكـدول مسـتقرة وقوية، وكرجال لهم وزنهم الملحوظ في السـاحة الدولية، إلا أن النخبـات التقليـديـة التي كـانـت قـد بـدأت المقـاومـة الوطنيـة من أجـل التحرر، وأنعشـت واسـتقطبت طاقة الشـعب وعرفت كيف تحركها دب إليهـا الوهن، وتســـربـت إليهـا أجيـال من الأطر والمثقفين المكونين على النمط الغربي والمتنكرين لقيمنا الإسلامية.

وبمجرد الإعلان عن الاســـتقلال الصـــوري ســـارعت الأطر المغربية المتوفرة على كفـاءات تقنيـة والمزودة بعقليـة أكثر وعيـا وتنظيمـا إلى

اختلاس المكانة التي كان يشــغلها مشــيدو الحركة الوطنية التحررية. وتمت مصــادر الســلطة والدولة من قبل هذه النخبات المغربة بأشــكال قلما تختلف من بلد إلى آ خر: فهذا الحزب الجديد ســواء اتخذ شــكل تنظيم أحادي أو متعدد يقضي على الحزب القديم أو على الأقل يعارض القديم مدعيا أنه يدافع عن حق هذا الشــعب في العدالة الاجتماعية والتقدم العصري.

وبعبارة موجزة فان صـناع الحياة العصـرية الذين نصـبوا أنفسـهم لهذه المهمة باســتعمالهم الإســلام كإيديولوجية أو بقيامهم بانقلاب، عدلوا عن تبني عقيدة الشـعب ليرفعوا الشـعارات التقدمية ضـد الفقر والجهل فصـوراها وعودا صـادقة انخدع بها الشـعب. وسـرعان ما تجمع الدكتاتورية الشخصية أو الحزبية أو هما معا الكثير من عناصر الفشل لينتهي بها الحال إلى تعذيب الشــعب وتقتيله بالوســائل البوليســية وعندئذ تفقد النخبات التقنية المتعاونة مع هذه الســلطة البوليســية فعاليتها ويفقد المثقفون المتطورون مع النظام القائم الحظوة التي كانت لهم لـدى الشــعـب دونمـا تمييز بين المثقفين المعـارضــين شــكلا أو المتعاطفين صـراحة مع السـلطة. ويعلو خطاب جديد يصـدم الضـمير الجماعي بصراحته ووضوحه، وينفجر الغضب الدفين في كيان الشعب،

ويولد أمل جديد باندحار دعاة العصرنة الذين لا يملكون أي أفق أخلاقي وروحي يمكن بواسطته أو إطاره فرض وملاءمة هذا التحديث.

أدرك الشاه المسكين –بعد أن دفع الثمن غاليا– أن التبعية للغرب والتحديث الوحشي تحت السوط والتعذيب لا يجديان نفعا أمام الدم المراق طواعية ليسقي نبتة الإسلام القوي المنبعث اليوم في إيران.

وليس في صالح نخبتنا المغربة أن تواصل العيش حائرة أمام الأوضاع الجديدة المفاجئة مثلما يحدث للمثقفين الإيرانيين الذين لم يتمكنوا من تحديد اتجاه رياح التاريخ، ولم يحسنوا بالتالي تقدير المرمى التاريخي للوثبة الإسلامية التي وضعت الأمة تحت الأنوار الكاشفة وأعادت لها كرامتها أمام العالم. إن المصير اللائق بنخباتنا المغربة، ذلك المصير الذي يجب أن يرتفعوا إلى مستواه بالاعتماد على ذكائهم وصدق التزامهم يتحدد بالمشاركة في هذه الوثبة التحررية وفي توظيف كفاءاتهم وخبرائهم لخدمة شعبهم الذي ينتظر منهم جهدا واعيا مدعما لجهده هو لإعادة بناء اقتصادياتنا المنحرفة، وإقامة العدالة والمساواة الاجتماعية وانتزاع حريتنا الحقيقية وكرامتنا واستقلالنا من أيدي الإمبراطوريات الغربية والمستغلين الداخليين.

إن موضــوع هذا الحديث هو فتح أفق الحوار والاتصــال والتفاهم والتعاون المتبادل بين نخبتين مختلفتين من حيث العقلية، لا يمكن أن يقرب ويوجد بينهما إلا إرادة مشـــتركة وملتزمة تظهر جديتها على ارض المعركة.

إن سـلالة آيات الله عندنا رخوة جدا وإنه من الصـعب خاصـة على مثقف يساري مهما بدا في خطابه مغرما بالإسلام المجاهد والمنتصر، أن يجد أي جدوى في ربط الحوار مع بعض معممينا المتخلفين فكريا الذين لا يكادون يبينون عن أي فهم مهما كان بســيطا مكتفين التذلل لأعتاب الحكم والرضــى بـالمواقف الهـامشــيـة. فينبغي أن لا يصــرف هؤلاء المدجنون اهتمام نخباتنا المغربة عن القاعدة العريضـــة التي تتكون من الآلاف بل عشرات الآلاف من المعربين الذين تخرجوا من القرويين، ومن أولئك الفقهاء البســطاء المنتســبين إلى المدارس القرآنية والعاملين في القرى، فهؤلاء وأولئك جميعا إن لم يصــلوا إلى درجة الالتزام بالإســلام الجهادي فانهم على الأقل يشــاركون الإســلاميين في الشــطر الأهم من معتقداتهم وإرادتهم.

أصــبحت مصــالح المخابرات التابعة للقوى الإمبريالية والشــرطة المحلية ترى في كل ملتح أو مواظب على المسـجد ثائرا محتملا يحسـب له

حسـابه، ذلك أن حرارة الوثبة الإسـلامية وحزمها كانا من القوة بحيث جعلا قوى الشر ترتعش وأفقدا أعتى حماتها رباطة جأشهم. إن الغالبية العظمى من الشـعب تملك طاقة غير محدودة إذا أحسـن توجيهها وتجنيدها للبناء أمكنها تحقيق المعجزات. وقد تعلم مثقفونا اليسـاريون المغربون والمتنكرون لقيمنا كيف يحترمون الثورة الإسـلامية الإيرانية واضـطر الموجودون منهم على مسـرح الأحداث إلى السـير في ركاب هذه الثورة وما زالت هذه الظاهرة الفريدة التي لم يسبق لها مثيل تثير دهشة العالم. نعم، يحق للعالم أن يندهش والملايين من الناس تشـارك في الثورة وفي الإضراب وفي الكفاح في الشوارع بأكثر ما يمكن من انضباط وتعاون أخوي. نحن لا نريد من نخباتنا العزيزة المغربة أن تنحو نحو الغرب الفاشـل في تحليله الحاقد لأحداث إيران الذي حاول أن يجعل من اللامبالاة سـتارا له كما لا نريد منها أن تقع في خطأ الماركسـيين الإيرانيين الذين ظنوا انهم سيخلفون الخميني بعد استغلاله في المرحلة الأولى من الثورة كما استغل لينين كيرنسكي.

- 1 -

إن النقطة الأولى والأساسية في حوارنا هذا هي أن ندعو النخبات المغربة إلى أن تجعل من الحركة الإسلامية حركتها، وأن تشاطر الشعب إيمانه فالله وشريعته ورسوله هو منطلقنا وقانوننا ومرجعنا. إن الغرب الذي فقد روحه عندما بنى حضارته المادية على القيم الأرضية وحدها، قد رسخ في الأذهان التي شوهتها جامعاته وفكره فأحكمت تشويهها فكرة خرقاء خرقاء تقول "إن الله غير موجود". إن الرأي الجاهلي تحت ضغط قرون من التحريف الثقافي الصليبي، ينظر إلى الشريعة الإسلامية وكأنها قوانين شنيعة عفَّى عليها الزمن، ويعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته نموذج التعصب الأعمى الذي هدد ويهدد من جديد السلام العالمي. أعني بالسلام العالمي سلام الغرب الذي يعتبر نفسه محور العالم والمدى النهائي الذي بلغه الضمير المهني وما يزال يوضع دائما على طرفي نقيض مع الحضارة الغربية لأن الأسس المادية لحضارة الأشياء تجعل من الفعالية إلهاً ومن الإنسان عبدا للآلة وعنصرا مدمجا في دائرة الإنتاج والاستهلاك. ولقد عرف نقد هذه النظرة المادية للإنسان مع الماركسية مرحلته ومع سياسة الأمر الواقع المبنية على التوازن الذي يفرض الرعب النووي والمغذاة بالأطماع الغربية المشتركة، وأطماع

الكتلة الشيوعية المتراصة ظاهريا وذات الطبيعة العدوانية، وأطماع الكتلة الأخرى المواجهة التي تقف عند حدود الدفاع، مع هذه السياسة ذاتها خرج من قمقمه العنف الطليق الذي هو منبع الجاهلية. والجاهلية مفهوم قرآني يستمد مدلوله من الجهل بمعنى عدم معرفة الله والجهالة بمعنى العنف المدمر، فالجهل بهذا المعنى الأخير يتناسب تماما مع العنف.

والجهل والعنف يعدان أساسيان لعالم بدون الله أطلق عليه تملقا اسم " حضارة ": حضارة متحررة في الغرب وعادلة بزعمها في الشرق، حضارة تحتقر الإنسان في كل مكان، مطبقة قانون الغاب المنظم أو معتمدة على الرعب والتعذيب داخل معسكرات الاعتقال (الكولاك في روسيا مثلا).

إن نظرتي الجاهلية للعالم، البرجماتية منها والإيديولوجية لا تمثلان إلا الوجه الظاهر لنفس العملة، ترفض كل فكرة عن الله، وتنعتها بالسذاجة. أما في بلدنا فإن هناك إرهابا فكريا يناهض بمزايدة كل إيمان بالله بشكل يربو على ما يحدث في البلدان الجاهلية أصالة. وذلك نتيجة للمزايدة الطبيعية التي يتشرف المتعلم المبتدئ بإظهارها أمام معلمه مدافعا عن أطروحات أستاذه بثقة عمياء مرذولة. وفي بلداننا

–وهي مجرد مقلدة لما يقع في البلدان الجاهلية أصالة– يعتبر الحديث عن الله والحقيقة والبعث بعد الموت دليلا على التخلف الفكري وعلامة على التعصب المظلم، ويبلغ ذلك حدا يزيد على ما يحدث في البلدان الجاهلية نفسها.

وفي نفس الاتجاه، تعمل الفلسفة المادية وقد اتخذت شكلها النهائي المتمثل في الماركسية لتعيث فسادا في العقول الصغيرة لأبنائنا الذين استلبهم الغرب. إن طبقة المثقفين الغربيين، وخاصة الملتزمين منهم، تضع روحها النقدية التي خيم عليها الظلام طويلا في مواجهة الإيديولوجيات وتقدر قيمة الادعاءات الثورية والتقدمية الشيوعية بحسب النتائج المحصل عليها، وتعترف بخطئها باحثة عن دواء منعش نقي وصحة عقلية وجدانية في ظل الإيمان بالله، ولكن عقول ذرارينا الذين لم يتبينوا بعد كيف تحتضر الإيديولوجية ثم تموت، أو الذين لا يريدون أن يفقدوا الدخل الذي تدره عليهم وضعيتهم التقدمية التي يلوح بها في كل مناسبة: أولئك وهؤلاء يفكرون البديهيات ولا يتوبون إلى ربهم قط.

إن الحضارة الغربية تخضع لمنطقها بحكم لقيامها على أسس مادية: فهي تستعمل العنف ضد الإنسان وضد الطبيعة، لأن هذه

الحضـــارة تنكر وجود الله، فـالحروب والعنصـــرية والتبـذير واحتقـار الضـعيف واضـطهاد المغلوب هذه وسـائلها في العدل، والكذب الخداع والعنف المكيـافلي تلـك وســـائلهـا في الحكم. لقـد بـدأ الضـــمير الغربي يسـتيقظ ويحاول الإجابة عن السـؤال الفطري لدى الإنسـان الذي يلح عليه في البحث عن معنى وجوده كإنســـان ويلح عليه في معرفة خـالقه، هـذا الـوعي بهـذه الحـقيقـة الـوجوديـة ألجـأت البعض إلى الكنـائس والريـاضـــات الروحيـة بعـد أن مجوا "الهيبيـة" وجرت البعض الآخر إلى إدانة مجتمع الاسـتهلاك الملوِّث والملوَّث، وإلى تخيل جنات أرضـية يتنعم فيها بالبيئة النقدية، وأرغمت غريقا ثالثا على فضح نظام الدولة المركزي الـذي يحتِّم على النفوس كوحش مخيف بـالتنديد بـالهمجيـة المســـتترة بشـكل أو بآخر خلف قناع الإنسـانية أو تحطيم السـتار الحديدي الذي تختنق خلفه وتعذب شـعوب وأجيال ليصـدر عنها صـوت بئيس يعبر عن رفض الإنسـانية للمصـير الذي فرضـته عليها الحضـارة المادية، ونعني به الصـوت المعبر عنه "بحقوق الإنسان".

لا أريد أن اســـتعرض أمامكم المواقف المتســـامحة للإســـلام، ولا الخدمات التي قدمها للإنســـانية في ميدان العلوم لأن الوقت لا يســـمح بذلك. لقد مضـى العهد الذي كان الإسـلاميون يضـمدون فيه جراحهم

التاريخية معزين أنفســـهم بالتغني بالأمجاد الغابرة، وحان الوقت لكي نبين للعالم المثل العليا الإســـلامية التي تســـتحوذ على روح المجاهدين وتقوي عزيمتهم، وتوجه نشـــاطهم ليحيى قرابة ألف مليون مســـلم في كرامة وعدل وليســـود العالم ســـلام حقيقي بالرجوع إلى الله وبالتالي لتحقق كرامة الإنسان.

لقد أرادت لنا الدعاية الغربية المعادية للإســـلام طوال قرون عدة أن نشتهر كمثاليين حالمين ذوي عقلية ذرية عاجزة عن تصور الأشياء في شـــموليتها وعاجزة أيضـــا عن التأثير بإيجابية حكمية في ســـير التاريخ، ونحن لا ننكر أن التقهقر التاريخي للإمبراطورية الإســـلامية كان من أسبابه ونتائجه فوضى عارمة طبعت وما زالت تطبع طريقتنا في التفكير والعمل، وهذا موعود الله الذي طالما رددته الأجيال عبر القرون يطل علينا في هذه الفترة التاريخية التي ينبغي أن تقدر بالعشـــرات بل بالمئات من الســـنين، وكل منا نحن الإســـلاميين يقتنع في قرارة نفســـه بأن هذا الوعد يلح عليه للنهوض للعمل والمثابرة كي يجسد دور العنصر المحضر الذي قمنا به مدة عشـــرة قرون خلت، والذي ينتظر منا القيام به من جديد قريبا.

هذا الاقتناع هدد المصالح الإمبريالية، وأفزع زبناءها وممثليها الموجودين بيننا، وسرعان ما يتلفظ بكلمة متعصب ضمن ما يتلفظ به لتضليل الجمهور الغربي وتضليله واستغلاله حتى يزداد حقدا على هذا الشبح المفزع، ونأمل من مثقفينا المشبعين بالتغريب المتهالكين على دعايته أن يتحرروا من سحر أكاذيبه ليروا الأشياء في صورتها الحقيقية، إن لدينا مثلا قويا أعلى هو كلام الله الحي الذي به يحيى الشعب، وإنها لطاقة جبارة، ويرجع الأمل إلى هذه النخبات المحظوظة ثقافيا والمتفوقة عقلانيا وتقنيا لكي لا يتحول هذا المثل الأعلى الحي إلى مثالية عاجزة مجنحة، وعلى عاتقها أيضا تقع مسؤولية البلوغ بهذه الدفعة الإسلامية الفتية المتحمسة إلى هدفها الحقيقي وتجنيبها مغبة الوقوع في دوامة اقتصادية مفلسة وخواء اجتماعي مهول شريطة أن لا يكون انضمامها إلى الحركة الإسلامية ثمرة وصولية مخزية، وسيحظى هؤلاء المثقفون وهذه الأطر بالفضل الأوفى إذا هم استطاعوا أن يقطعوا كل صلة بنمط التفكير والإحساس المستعار من الآخرين، وكأنما المسألة في الفكر السياسي والثقافي المعاصرين لا تتطلب سوى قطع الصلة بما سبق، ثم الانطلاق من جديد في اتجاه آخر، أي اتجاه. فبعض مثقفينا يطربون لعبارة "الانقطاع الأبستملوجي" طربهم لأغنية سحرية. وأما الاقتصاديون الذين زادتهم خيبات الأمل المتكررة حكمة فقد أصبحوا

ينـادون بتنميـة داخليـة مركزة حول الـذات ومســتقلـة تـأخـذ قوتها من التضــامن الحـاصــل بين الشــعوب المغلوبة على أمرها، فلكي يتحقق الانفصــال عن القوى الإمبريالية الوحشــية بدون الســقوط في همجية متخلفة وبئيســة. يجب أولا الخروج من الدوامة الجهنمية التي تقذف بالبلدان الضـعيفة من معسـكر جاهلي إلى آخر. والجاهلية تمثل في آخر الأمر وبعـد التحليـل مـا يســميـه كثير من النقـاد "وحـدة جـدليـة" أي مجموعة تســتمد أجزاؤها الصــلابة والقوة من قاعدة عامة تتلخص في لعبـة "التعـارض والتكـامـل". ولبلوغ هـذا الهـدف، هـدف التخلص من جاذبية التبعية للمعســكرين الجاهليين، يجب تصــور كتلة قادرة من حيث الحجم والإمكانيات والمســاحة والمكانة الجيوســياســية في العالم وخصــوصــا من حيث قدراتها على التلاحم ومن حيث طاقتها الأخلاقية التي تكســبها مناعة ضــد القوى المزدوجة المهيمنة على التفاوض بشــأن شروط بقائها وارتقائها داخل السوق الاقتصادية إن عناصر هذه الكتلة متوفرة فعلا، ويبقى إبرازهـا للوجود كقوة فـاعلـة لتؤدي الـدور المنوط بها، وهـذه هي المهمـة التي نـدعوكم إلى تحملهـا، أن في قلـب كل مســلم شــعورا قويا بانتمائه إلى الأمة الواحدة التي لا تقبل التجزئة، لكن هذا الشعور يتعرض لحرب عنيفة من قبل الدعاية الحكومية الرسمية وغير الرسـمية المنادية بالوطنية الضـيقة، حرب تزعمها الحكام ليحرفوا هذا

الشعور وليستغلوه لأغراضهم الشخصية، أذكت نارها الإمبرياليات للدفاع عن مصالحها وتشجيع موالاة جديدة لجهة من الجهات سواء كانت محلية أو عنصرية، وذلك بالتدجين والخنق ثم القضاء على الانعتاق التحرري الإسلامي الذي وجد مجراه الطبيعي والاستجابة التلقائية والإرادة الفاعلة عند شعب تتزعمه قيادة حكيمة مثل الخميني.

وإنه لخطأ فادح هذا الذي ستلاحظونه أنتم معشر المثقفين الحاذقين قبل غيركم، يحدوكم إلى التنديد به غضبكم النبيل ضد كل اضطهاد، وإننا نطلب من الصادقين منكم أن يظلوا أوفياء لهذا المبدأ الذي يجعلكم في أعيننا وفي عين الحقيقة نبلاء، ولكن لربط الصلة بل الانصهار في هذه البوتقة الإسلامية التي تفتح آفاقا واسعة نعرض عليكم هذا الاقتراح: أن تكفوا لفترة تجريبية عن التفكير والشعور وفق أنماط الآخرين، لست أدري كيف يستطيع مثقف تغدى طوال شبابه بالثقافة الغربية أن يعمل مالا ولن يستطيع عمله مثقف غربي متوسط: أن يخصص من وقته ربع ساعة لمحاسبة نفسه محاسبة دقيقة ويعتبر أن الموت والحياة أمران جديان وباعثان على الدهشة بحيث لا يمكن اعتبارهما عبثا مجردا، ومن ثم يقبل على الإنصات إلى صوت صادر من أعماق قلبه يلح عليه إلحاحا أن يؤمن بأن الله موجود ويمكنه من

الانفلات من حالة التبليد الذي يمارسه عليه صخب العالم وتلاحق الحياة الدنيئة المتركزة على المظاهر الكاذبة والنزوات النزقة.

تحكموا في أوقاتكم وأفكاركم وعواطفكم وخصصوا الوقت الكافي لقراءة وإعادة قراءة أغنى كتاب من حيث مدلولاته بالنسبة إليكم، ثم تدبروه أنتم الذين تجهلون راضين مطمئنين كل الحقيقة أو بعضها عن معنى حياتكم ومماتكم، اقرأوا القرآن، اقرأوا كلام الله، وحينما تهزكم معانيه للمرة الأولى إذا كنتم تعتقدون أنكم ملاحدة، فإذا أبيتم على أنفسكم هذه الصفة وأثرت فيكم آياته أكثر من المعتاد فتعالوا إلينا، إلى المسجد لتصبحوا منا. وحينئذ سيحظر عليكم التلفظ بأية كلمة حرة ضد الحكم الذي حول بيوت الله إلى دور للدعاية له بينما ستهيئ لكم فرص مشاطرتنا دفع الثمن غاليا، ثمن حرية الاعتقاد، ورفض الطواغيت الإنسانية، وستشاركوننا بفضل تضحياتكم في بناء مجتمع جديد لا يرضى إلا بالله ربا وبالإسلام شرعة ومنهاجا وبمحمد صلى الله عليه وسلم قدوة وأسرة، ولكن اعلموا أن التصالح مع الله واقتحام العقبات نحو الكمال الخلقي والروحي لا يرجع أمرهما إلى العقل وحده ولكن إلى القلب قبل كل شيء، وينبغي أن تطلقوا كل مناهج الشك وفلسفاته التي تتفاوت في العبث لكنها كلها تجعل منكم حيوانات مفكرة

أو شـــهوانية، وكائنات لا معنى لوجودها ســـوى ما تمنحه لها تقلباتها في الحيـاة ومـا يقنعهـا بـه وجودهـا العبثي، واعلموا أن الطريق إلى الله في متنـاولكم وأن مفتـاح الحيـاة الجهـادية الهـادفـة معنـا هو نفس المفتـاح الذي يمهد الطريق إلى الجنة بعد الموت.

ولربما فـاجأ أســلوبنا في خطابكم أولئك المتقيدين بأصــول النظر الفلســفي الـذين شــحنت أدمغتهم بـأنمـاط التفكير الغربي، وتراوحت حســاســيتهم بين الخضــوع المخزي والاســتغلال النفعي تبعا لنموذجهم الأمثل:

خضـــوع المحرومين الشـــغوفين بـالثورة الملحـدة الـذين تجـاوزتهم الأحداث، واســتغلال المنظرين للمتعة الحيوانية والداعين إليها. ونأمل أن لا تكون الأحكام المســبقة والاســتعدادات المكتســبة من مخالطة مخاطبينا للجاهلية ســببا في تعتيم أحكامهم التي أتت نتيجة كســلهم واكتفائهم بما لقنوا عن الإســلام، وســيرون أن انفتاحنا لا خلفيات ولا أحقـاد لـه، وأن خطبنـا متحرر من العقـد، ويعرض مفـاهيمنـا الإيجـابيـة البنـاءة. نعم، نؤكد بكل وضـوح أن الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالجنة أو النـار بعـد الموت حقيقـة لا مفر منهـا، أيهـا النـاس اهتموا بمصــيركم أولا قبل أن تهتموا بمصــير المجتمعات والعـالم، تحرروا من كل مـا يربطكم

بالآلة المبلدة التي تزج بكم في دوامة العدم، لا تخلطوا كلامنا بكلام الآخرين الذين يفصلون الدين عن الدنيا ويقسمون الخطابات إلى أنواع: محاضرات أكاديمية، وخطب سياسية ووعظ وإرشاد.

إن الأنظمة الاستبدادية بطغيانها السياسي وجورها الاقتصادي وظلمها الاجتماعي الذي يمارسه الأغنياء الأقوياء على الضعفاء والمحتقرين ستتساقط تباعا مثل الفاكهة العفنة تحت هبوب الأعاصير، وتهب رياح التحرر في أرض الإسلام فيتحرك الشعب ليعلن عن قوة غضبه الدفين محدثا رجات عنيفة، وظهر عقب الانقلابات التي تحل محل الرجعيين الموالين للغرب تقدميين موالين للشرق، وأوشكت الرقصة السياسية أن تنتهي وتتلخص في استبدال تبعيتنا القديمة لشرق الغرب الجسور –بعد فشل الثورة الانقلابية– بتبعية جديدة للإمبريالية الغربية المترهلة بدعوى الانفتاح على العالم، ولكن الثورة الإسلامية تعبر عن نفسها في الميدان وتمارس جاذبيتها على الجماهير الإسلامية.

ففي إيران تواجه الثورة الإسلامية التي تعد نموذجا لأكثر من سبب صعوبات ناتجة عن بساطة تجربتها وخصوصا عن المؤامرات المبيتة في الداخل والخارج، ومع ذلك فإن هذه الثورة التي تريد لنفسها أن تكون منفصلة عن المناهج الجاهلية وتصرح بذلك، وتظل ثورة لا تعتمد على العنف، بل تعتمد عل الله الذي وقاها مغبة الجهل ومنحها قوة التصدي

بالصدور العارية لدبابات العدو ومدافعه، فاستطاعت أن تطيح بالمؤسسات الجائرة وأن تطرد فلول الظالمين بقوة الأيادي العزلاء، وبعد مرور خمسة عشر شهرا على سقوط النظام الظالم لم ينفذ حكم الإعدام إلا في ثمانمائة شخص بعد محاكمتهم، وهذه قمة التسامح الذي صورته الدعاية المعادية مذبحة همجية، لأن ميول هذه الدعاية المزدرية للإسلام وسماجتها الوقحة جعلتها تتعمى عن بشاعة ما اقترفته الشعوب التي تدعي الحضارة في التاريخ الحديث، إذا ما قورن فعلها بما حدث في إيران وبدون أن ندخل في الحساب هتلر وأضرابه من سفاحي الشعوب المستعمرة. نذكر أن فرنسا غداة تحررها من الاحتلال الألماني بعيد الحرب العالمية الثانية قد ذبحت خلال ثلاثة أيام فقط مئات الآلاف من المتعاونين مع المحتلين الألمان (أربعمائة ألف إذا لم تخني الذاكرة)، هذا مع العلم أن فرنسا شعب متحضر ولم يعان من قهر ثلاثين سنة من الطغيان الذي يفوق كل وصف. ولولا "سولجنيتزين" الذي شهر ببشاعة العهد الستاليني لما عرف العالم أن الثورة البلشفية وجبروت وحشها ستالين قد كلفت الشعب المقتل ستين مليونا من الضحايا من بينهم عشرون مليون شهيد مسلم أُبيدوا تحت الاحتلال السوفياتي.

وفي النقطة الثانية من هذا الحوار أود أن اطرح مشــكل الطبقية والصــراع الطبقي من الوجهة الإســلامية. فالمقارنة الأولية بين التجربة الإيرانية وغيرها من التجارب يجب أن يحيل المرتابين على كتب التاريخ ليتمكنوا من تبين الفوارق بين عنف الجاهلية الوحشي واستعمال القوة الضرورية والمتحكم فيها من قبل الإسلاميين.

إن الفكر الغربي المعاصــر الذي أثرت فيه الماركســية أيما تأثير –سواء اعترف بهذا التأثير أم لا، وسواء اتخذت الماركسية كمنهج وحيد أم لا– قد اقتصر على تصور العالم وفق المعيار الجدلي، ونحن نأبى على أنفســنا أن نكون صــورة معكوســة للآخرين حتى لا نتقوقع وراء النقد التبريري فنكتفي بفضح المناهج الجدلية وتبيان عدم جدواها، كما نأبى الانســياق وراء المظاهر العلمية الخادعة للفلســفة الملحدة كما فعل شــبابنا المغرب الســاذج قبل انكشــاف فضــائح معســكرات الاعتقال في الاتحاد السوفياتي (الكولاك).

وندعو حركيينا الماركســيين واليســاريين والماويين والتروتســكيين الـذين كانوا يســتعيرون حججهم وشــعاراتهم من المرعى الاعتقـادي للآخرين ليأخذوا العبرة مما كانوا يتخوفون منه دائما، أن أفكارهم ومناهجهم لن تحرك الشــعب الإســلامي رغم شــعاراتهم العريضــة التي

تنادي بالعدالة الاجتماعية ممتطية متن الحقد الاجتماعي والصـــراع الطبقي.

وبدون أن نتردى في أسلوب الأسى المعتاد الذي ألفنا استعماله زمن هزائمنا والذي يعتمد القول بأن الإسلام قد سبق الفكر العصري بأربعة عشر قرنا، وبدون أن نسقط في التقليد غير المباشر الذي يعرض أفكار الآخرين وكأنها أفكاره بعد إضفاء صبغة الأصالة عليها، نؤكد اتفاقنا مع كل إنســـان حباه الله قدرا ولو ضـــئيلا من الذكاء أن العالم مكون من تناقضات وأن صراع الأضداد يسيطر على الشعوب وعلى العالم، وأن الأنانيات الفردية والطائفية والعرقية، أو أنانيات المراكز الإمبريالية تغذي هذا الصــراع العام، فهذا أحد القوانين الإلهية التي تســير العالم وتوجهه، قال الله تعالى: "**ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**"، لكن مفهوم "الطبقة' والتبسيط الماركسي الذي يصور المجتمع ذا قطبين متمايزين متحاربين لا يعبر عن الحقيقة، فالنقد الذي يوجهه للجدلية الماركســية المبســطة أصــحاب الجدلية الموســعة المتعددة الأطراف المنتمين للفكر الماركســي لا يرضــي الذين يلاحظون مثلنا ما يمكن أن تبتلى به عقول أجيالنا الممســوخة، كما لا يرضــيهم نقد تلك

الجدلية القتالة من طرف الفكر البنيوي الاستقراري الذي ينظر إلى خلف وينظر إلى اليوتوبيات المجردة.

إن فكرة الطبقة وأسلوب الصراع الطبقي اللذين يقدمان كنتاج لتفكير علمي ليسا سوى تصورين ذهنيين يصوران حقد كل إنسان وكل مجموعة من الناس على كل من يضطهدهم ويحتقرهم. ولقد فازت الماركسية بقصب السبق في الحظيرة الغربية لكونها جعلت المثقفين يدركون ما يمكن أن يفجره لدى الجماهير غضب كامن إذا حسن استغلاله. وهكذا تنجز الثورة على الطريقة الغربية فتؤول الحركة الثورية بجهازها الطليعي والحزبي وشعاراتها الثورية واستراتيجيتها وتكتيكها إلى «ديكتاتورية البروليتاريا» التي تنصب نفسها مخلصا حتميا للعالم منزلا من سمائها. وما الاستراتيجية والتكتيك إلا مصطلحان عسكريان يعبران أفصح تعبير عن ضراوة حرب الثورات التي تتم على الطريقة الغربية والتي تجعل الحقد مبدأها والتخريب منهجها. لايمكن أن ننكر وجود الطبقية في مجتمعاتنا، مع هذا الفارق الأساسي الذي يضاعف من خطر هذه الظاهرة على اعتبار أن الأغنياء والأقوياء عندنا يزدادون غنى وطغيانا كلما ازدادوا نهبا للشعب. وما تلد الأنظمة السياسية والاقتصادية لما قبل الثروات المزعومة في بلادنا وما بعدها إلا

التناقض والتباين. تتمكن القوات الجديدة من تحطيم الأنظمة العفنة ودحر الأنظمة الفردية الفاســـدة لكن الأمور تســـير على نفس الوتيرة، وتتوالى طفراتنا وقفزاتنا الفجائية.

تتوالى الفواجع على الأنظمة الســياســية على مســـتوى القمة لكن الطبقية تبقى ملازمة كالظل لصاحبه. إن تصورنا للحل الإسلامي، حلنا الأمثل، يجب أن يكون قويا غير عنيف يفرض علينا أن نمحي الطبقات لتحل محلها الجماعة المبنية على الإخوة والتضامن، وهذا المنهاج يسمى جهادا وليس نضالا، بوضع كلمة جهاد مقابل الكلمة الجاهلية نضال.

ولكي يؤســـس المجتمع الأخوي على دعائم متينة بعد خمود الفتنة الحالية التي تتحول فيها الطبقات في تعاقبها إلى دائرة جهنمية، لكي نقيم جهادا واعيا وقويا في نفس الوقت ونتجنب النضـــال الحاقد الأعمى، وجب علينا أن نكون مجاهدين في سبيل الله وليس في سبيل غاية وهمية رجالا واعين بمآسـي قومهم قادرين على التحكم في أنفســهم والانسـياق وراء أهوائهم الخاصـة. يجب أن يقبل الإسـلاميون التحدي الذي يفرض عليهم بناء مجتمع إسلامي خال من الحقد والأوهام وخال من الاستكانة أيضا. ذلك من اليوم الذي تفرض عليهم فيهم أحداث التاريخ أن يتخذوا مواقف أو بتعبير إســلامي حينما تضــعهم يد الله أمام اختيار مصــيري.

سيأتي هذا اليوم بإذن الله آجلا أو عاجلا، وسلاحنا لمواجهة هذا اليوم المشرق هو شريعة الله وقلوبنا الطاهرة غير القاسية. وأنتم مثقفي الأعزاء الذين تبددون طاقاتكم يمينا وشمالا تتوفرون على الحس التنظيمي وعلى التقنيات والخبرة العلمية مما يؤهلكم لمشاركتنا في تقرير وصنع مستقبل عادل حر، لأن المجتمع اللاطبقي يمكن تصوره بل وتحقيقه وفق المنهاج الإسلامي.

إن زادنا للمحافظة على الإرادة العلمية هو وعد الله لنا، ولإنارة الطريق أمام الخبرات العلمية تقسم الشريعة الناس إلى معسكرين، مستكبرين ومستضعفين، وإذا كانت فكرة الطبقة الاجتماعية تعني الفارق الاقتصادي والسيطرة السياسية فإنها لا تتناول قطعا الجوانب النفسية والأخلاقية والروحية. فالقرآن في الكثير من آياته يعرض أمامنا المستكبرين المتعالين المضطهدين لرسل الله الذين كانوا دائما يناصرون الضعفاء. فلا تعجبوا إذن إذا كان إخوتنا المجاهدون في إيران يضعون منذ الآن ثورتهم في إطارها الحقيقي الذي هو توحيد جهاد المستضعفين على الأرض بعد توحيد الأمة الإسلامية، هذا الجهاد الذي نتحمل بالضرورة وقبل غيرنا مسؤولية القيام به. وهاأنتم ترون كيف يستطيع

الجهاد الهادف أن يزيل تهمة الجمود الفكري عن الناطقين باسم الإسلام.

وحوارنا مع المسؤولين الذين تقلقهم أدنى حركة إسلامية يستهدف إقناعهم بأن الثورة يمكن أن تصدر نظريا وتاريخيا عن القمة، ولن نفتر عن ذكر عمر بن عبد العزيز كمثال خالد لسلطان وراثي نزل إلى الشعب ليكتسب المشروعية المفتقدة وليعيد تطبيق نظام العدالة الاجتماعية التي شرعها الحكم الطائفي لبني أمية. وأخذنا له كمثال تاريخي يرجع إلى الخصال الفريدة التي كان يتمتع بها واستبداله الخلافة المزعومة على الفور بخلافة شرعية تستمد قوتها من رضى الشعب. ونحن نتحدى كل من يعنيه الأمر بعرضنا نموذج عمر بن عبد العزيز.

إن مأساة أنظمة مستكبرينا المعاصرين الذين يمتصون دماء شعوبهم ومآلها إلى الفاجعة لا محالة، ونقترح عليهم بكل سخاء القيام بمحاولة عمرية إذا هم تمكنوا من التفكير في أسلوب غير أسلوب ألاعيب الديمقراطية المنحرفة شريطة أن يبرهنوا على صدقهم قبل أن يعتمدوا على تأييد الشعب الذي زجوا به في حمأة دعايتهم الديماغوجية.

وننهي هذا الاستطراد لنؤكد أن الملكية الخاصة والمشاريع والمبادرات الفردية لا توضع موضع التساؤل في النظام الإسلامي إلا إذا أخلت بوظائفها الاجتماعية. إن دوار البيروقراطية لا يتربص بالإسلاميين عندما يصلون إلى الحكم لأن الحلول البيروقراطية والتغيرات البنيوية المكثفة والعنيفة وسائل لا يعتمدها منهاجهم. إن تشغيل طبقة الطفيليين والهامشيين ومبدأ إعطاء الأرض لمن يحييها يشكلان إطار إصلاح زراعي هو أسبق الأولويات.

وبناء الاقتصاد على أسس علمية لا يعني بالنسبة إلينا تسليم إدارة شؤوننا المحلية للتقنقراطيين وإلى الآلة الإدارية التي تعيد نفس الوضع مكونة طبقة جديدة من المتجبرين. وإنما يعني فتح آفاق التعاون الإسلامي وعليكم أن تعضدوا هذا المشروع وتشاركونا الجهاد الذي يعتبر امتلاك التكنولوجيا أحد أهم أهدافه.

ما هو الدور الاجتماعي الذي يلعبه رأس المال في النظام الإسلامي؟

هل من حق المستضعفين أن يتوقعوا ازدهارا فوريا عقب الإعلان عن الجمهورية الإسلامية؟

إن المتملق الديماغوجي لعواطف الشعب من أدوات البهتان الإيديولوجي الذي يستعمله حكامنا كلما حل نظام استبدادي مكان آخر، أو حل جهاز بوليسي مكان آخر، أو اغتصبت طبقة في طور التكوين أضعفها الانحلال الخلقي وتراكم الجرائم واستنزاف الحكم وظائف وامتيازات أخرى.

إن الإسلاميين أقوياء بمثاليتهم التي تستحوذ على مشاعرهم لكنهم واقعيون، فهم واعون بأن كل تغيير للبنيات يستتبع هلعا اقتصاديا، ويعلمون أنهم ليستفيدوا جميعا في الغد من منافع نظام ما زال في حيز المشروع يجب أن يعرفوا كيف يتحملون نصيبهم من التضحيات اللازمة، وكيف ينسقون الجهود الجماعية الضرورية لإنجاز العمل المشترك بحيث يضطلع كل فرد بالمهمة المنوطة به، فمهمة رأس المال الخاص والمشاريع الحرة هي أولا وقبل كل شيء ألا تستمر في خدمة الشركات المتعددة الجنسية والمصالح الرأسمالية، ثم بعد ذلك عليها أن تشارك في العمل الطويل النفس زاهدة في الربح العاجل أو الحرام، وأن توجد الوظائف لتشبع حاجات الشعب وأن تنتج الضروري قبل الكمالي، وأن تخرج الزكاة التي لا تمثل إلا القدر الأدنى من الإنفاق والتي يجب على الدولة الإسلامية أن تفرضها على شكل ضريبة تصاعدية.

ويجب الحصـــول على موافقة الشـــعب بأغنيائه وفقرائه ليبذل التضـحيات والجهود لإعادة البناء وفق المنهاج الإســلامي. ويجب أن تصـــرف طاقات هذه الأجيال المباركة التي لا تســتطيع مدارســنا ولا أنظمتنا الاقتصـــادية –وهي محكومة بالنهب الأجنبي والنفعية البورجوازية– أن تكونها أو توظفها.

إن الأجيال التي أسيء تعليمها قد وصلت سن العنف، وستنتقل وشيكا من البطالة وتعاطى المخدرات إلى الانفجار. إن القدر يطرق الباب والوقت لصالح الإسلام باعتباره آخر ملجأ. ونحن لا نسر مطلقا للمآسي التي يعاني منها شـــعبنا ولكن الواجب يفرض علينا أن نكون يقظين متبصرين.

قلنا إن الثورة الإســلامية لا تعني العنف والانتقام –ولكنها لا تعني كذلك الأخلاقية الخائرة المبلدة– بل إن الثروة الإســلامية تعني جهادا منظما وفق قانون مضبوط: عدالة ذات أسس أخلاقية مرضية تنسجم وســائلها مع غاياتها، تضـحيات مبذولة عن رضـى وطواعية وجهود مصروفة لتسود المساواة الإسلامية الأصلية. لا بد من تغيير الأوضاع الراهنة وإلا فهناك خطر الوقوع في المنزلق الحتمي أو التعنت الذي لا يقل عنه خطرا. ويوما ما ســيفجر الحقد الطبقي الذي يزداد تأججا

خلف المظاهر الخادعة والانضباط الكاذب، وسيأخذ العنف مجراه ليتخذ من سفك الدم وسيلة لإشباع نهم أولئك المحرومين القابعين في فقرهم من شبان ضاع مستقبلهم ومغامرين لا ضمائر لهم... وسيكون الإسلام وقتئذ قد حذر بجلاء ووضع الحقائق القاسية المرة أمام أعين أساتذة السياسة من حكامنا والمعارضين المتواطئين معهم الذين يحترفون تزوير الحقائق.

نحن مع المستضعفين، وينبني على ذلك نجاح كل مشروع للتحديد وخاصة الحصول على السعادة الأبدية الني يخص بها الله الصادقين من عباده الذين تخلصوا من كل أنانيات وأحقاد المتجبرين.

إن العالم بالنسبة إلينا وعلى ضوء ما جاء به القرآن ينقسم إلى معسكرين: مستكبرين ومستضعفين ولكن المفاهيم الجاهزة المقطوع بها من مثل شمال/جنوب –إمبريالية شيطانية– أخ أكبر ليست مفاهيمنا. فداخل كل بلد يوجد «مستكبرون» وهم خلفاء المستغلين الأجانب ومتواطئون معهم ضد مصالح شعبهم. والمستكبرون بالنسبة إلينا مجموعة الطبقة العالمية التي تنتظم مصاصي الدماء المحليين والعقبان الرأسماليين والمستبدين الصغار التابعين إلى جانب الرأسماليين الكبار. ويمكن التماس نوع من التشابه بين صنفين: مستكبرون/مستضعفون

وبين التقسيمات الرائجة التي تميز القوى الإمبريالية عن غيرها: الشمال الغني المتطور والقوي عن الجنوب الفقير المستغل. ولكن الفارق النفسي الذي يحدد الصفات المشتركة بين المتجبرين الذي يفرضون سيطرتهم القمعية على معذبي الأرض ليمنعوهم من التحرر من العبودية المادية والاجتماعية من التشوق إلى الله في تفتح ذهني أخلاقي وإشعاع روحي لا يشرحه إلا المفهوم القرآني المزدوج مستضعفون / مستكبرون. والإسلام يحارب ويناهض هذه الروح الإلحادية خاصة ويجب أن يحاربها في جميع أشكالها، وهي متسترة خلف مسوحها الاجتماعية والاقتصادية أو متخذة شكل تضامن عالمي يضم جبابرة العالم ومحتقري الجنس البشري. روح التجبر هذه إذا لم يكبح جماحها وتوجه إلى الله ليخلصها من أدرانها، فإنها ستبرز دائما لتعيث نفس الفساد في الأرض، دونما نظر إلى الطبقة التي استبد بها الغضب لتتخلص من سيطرتها.

والثورات على الطريقة الغربية تعتمد دائما على تغيير البنيات وإحلال طبقة حاكمة محل أخرى واستبدال إيديولوجية أو سياسة بأخرى. أما التغيير الإسلامي فإنه لا يقبل الاحتفاظ ببنيات مستبدة ظالمة ولا يسمح لنفس الرجال الفاسدين أن يجربوا ألوانا أخرى من

الخـداع والنفـاق، ويمتلـك السـر الـذي يمكنـه من تغيير الإنسـان، فمنهاجـه يجنبـه معـالجـة نزوات قـديمـة بنزوات جـديـدة. نعم إن تربيـة الإنسـان الجـديـد هي الهـدف الطموح لكل ثورة. فـالثورتـان الروسـيـة والكوبية مثلا اسـتطاعتا أن تكونا بالوسـائل المادية والبشـرية المعروفة تقنيين وجنودا واسـتطاعتا إنتاج آلات بطريقة أقل فعالية بكثير من الطريقـة الإمبرياليـة، وكان ثمن هـذه المنجزات بـاهضـاً جـدا، إلا أن الإنسـان السـوفياتي أو الكوبي لم يتغير إذ سـرعان ما تختفي صـورة الثوري المناضل لتحل محلها صورة الإنسـان القديم بكل عقده وشرهه وانتهـازيتـه. ولا يلبـث الحزب بمجرد وصـولـه إلى الحكم وتحـت تـأثير المغريات المختلفة أن يظهر بنفس صورة مستبدي الأمس مع فعالية أقل وخسـارة في الأرواح أكبر، لأن التلازم بين الصـورتين متين والانقطـاع مستحيل.

- 3 -

في النقطة الثالثة من حوارنا هذا أســمح لنفســي بأن أحدثكم عن موضــوع يشــغل بال كل مثقف فخور بتميزه ومســتعد لتحمل الأذى في سـبيل تأكيد هذا التميز. وهكذا أطرح مشـكل الأصـالة والمنهاج. ومكانتنا في العلم، ورســالة الإســلام العالمية، والشـخصـية الإســلامية الفردية والاجتماعية السياسية.

فهؤلاء الذي يعلنون أصـالتهم من بيننا ويتفلسـفون في التعبير عنها، أولئك الذي يصــنفون ضــمن الرجال الحركيين -أو بالأحرى الرجعيين- والذين يسـتغلون هذا الشـعور بالأصـالة مبدعين وممتطين متن عقلية وطنية، قبلية كانت أم إقليمية، لا يفعلون شــيئا ســوى تقليد أفكار الآخرين وصــياغة كيانهم وفقها. وبذلك يســتظلون بمظلة الحضــارة العالمية الكبرى ويعرضــون تاريخهم وتقاليدهم كظواهر مشــرقة تحظى باهتمام التاريخ كما تراه وتزنه وتحكم عليه الحضـارة الغربية التي تعتبر نفســها مركز العالم. وهكذا يقبل المتغنون بالأصــالة القيام بالأدوار الثانوية على المســرح ثم إعداده وتزيينه ليبرز محاســن الغرب. وهكذا يرددون ببلادة سيناريو وضعه أستاذهم في الفكر بل سيدهم الغربي.

إنني أعلم أن تعصبا قبليا يغلي في عروق شبابنا الباحث عن شخصية قوية كريمة. والأحداث التي تعرض لها جيراننا مؤخرا تبين أن الإحساس بالفوارق قد بلغ مداه وأنه سبب عدم الاستقرار الذي يزيد من توتر نسختنا الديمقراطية المهزوزة بحلولها الوهمية ومظاهرها الكاذبة. ديمقراطيات متعددة وتآلف حزبي شكلي يضغطان معا على شعب أريد له أن يبقى جاهلا لشخصيته. إن عدم الاستقرار كامن في تركيبة شعوبنا نفسها. أجزاء اقتطعت من الجسم الروحي والتاريخي الذي هو: «دار الإسلام» وتقلصت تبعا لضمور تاريخي إلى دويلات صغيرة بئيسة مرتبطة بالتحركات الإمبريالية المتناقضة.

لقد تآكلت اللحمة التي كانت توجد بيننا إلى درجة ظهرت معها البنيات الضاربة في القدم والتي كانت قد تلاشت، فظهرت فوارق السلالات واللغة والخصوصيات العرقية والإقليمية. فهذه التعربة، وهذا التفقير الوجودي الذي لحق بنا وبتطلعاتنا، وهذه التشويهات وفق النموذج الجاهلي الذي نفذ إلى أرواحنا وعاداتنا وأخلاقنا وران على كل مجتمعاتنا ما هي العوامل الرئيسية تجعل منا اليوم مقلدين قرديين وتابعين وديعين بل مجرد حضور صامتين في حلبة التاريخ الذي يصنعه الآخرون بدون مشاركتنا وعلى حسابنا.

وطالما بقينا منهزمين نفسيا فسيحكم علينا بالخضوع لإرادة الآخرين لأن الانبعاث الإسلامي يتطلب وعيا جديدا وتحريرا للشخصية قبل كل شيء.

لقد صيرنا المركب الإمبريالي الاقتصادي والعسكري الذي يتألف من الكتلتين الغربيتين المختلفتين هامشيين بؤساء لا وزن لنا في السوق العالمية التي تتحكم فيها القوتان الأعظم، وساعدت ضخامة هذا المركب وقوته الصناعية والمالية وإرادته من جهة وحاجياتنا التي نعرف كيف نحد منها نشبعها من جهة أخرى على الوصول بنا إلى هذا المستوى ولن تحل الوطنيات الانفعالية الحقيرة محل القلب منا كما أن الخصوصيات الفلكلورية واللهجات البدائية لن تحل محل روحنا الأصلية الضائعة. إن المباحث الصغيرة عن الهويات المختلفة المتباينة التي يرفعها القادة الصغار والكبار ويدرِّسونها للشعب تدخل السرور على قلوب أعدائنا لأنها تنقب عن حزازات قديمة وتزيد جسم الشعب شروخا.

مثال واحد يكفي للتدليل على السلبية التاريخية التامة للوطنيات التي قسمت الأمة الإسلامية هو زرع إسرائيل في صميم دار الإسلام وعجز الدويلات الهشة عن إنتاج سياسة موحدة لمجاهدة القوة الجاهلية التي سمحت لهذه البيضة الجرثومية السرطانية –إسرائيل–

أن تفقس وتنمو في جســم أمتنـا. والعرب يتحملون الآن لعنـة الوطنيـة علاوة على لعنـات الثروات المخزنيـة لـدى البعض وســط فقر الجميع وبؤســهم وتخلفهم. إنها أجســام بلا أرواح هـذه الكيـانـات التي تبحـث بالتناوب عن ملجأ ودعم لدى أمريكا التي صنعت دولة إسرائيل وتعتبرها جزءا منها، أو لـدى روســيـا التي بـاركـت ميلاد هـذه الـدولـة وتفتح أمـام عشرات الآلاف من الأطر المكونة باب الهجرة إلى الأرض المقدسة السليبة التي خلفها أجدادنا ليتمكن أهل الكتاب من اليهود والنصـارى من عبادة الله بحرية إلى جانبنا. وبدلا من الدور القيادي الذي كنا نقوم به كحملة رســالة للعالم الذي يحتكم إلينا طوال ألف ســنة خلت، إذا بدورنا هنا يقتصــر على تمثيل ماجن حقير لشــعوب يتيمة تحت وصــاية حكام لا يتعـدى أفقهم دروب الـوطنيـات الـهزيلـة ولا تتعـدى إرادتهم طموحـات أنانية ضيقة.

إن «ضــربة كابول» كما يطلق عليها تكشــف القناع عن التوســع السوفياتي وعن خيانات في نفس الوقت ينبغي ألا يجعل منا تأييد روسيا لنا في قضـيتنا ضـد الصـهاينة خدام أمريكا حتى ولو كانت فلسـطين هي قلب الإســلام. ودويلاتنا الصـغيرة الهشــة لانعدام مشــروعيتها، ليســت ســوى دمى تتلاعب بها الكتلتان الجاهليتان ضــمن تصــارعها من أجل

الفوز. وتمثل هذه الدويلات بيادق فوق رقعة الشطرنج تتفاوت إرادتها ووعيها بما يفعل بها. وسنظل لعبا طالما أن الأهواء البدائية والفوارق الصارخة بين دول تدعي الأخوة تقسم مجتمعاتنا وتمزقها. إن ادعاءات العرب بتحمل مسؤولية القدس وحدهم، وعجزهم الفاضح عن تكوين نواة لحركة إسلامية موحدة جامعة يأسف له كل المسلمين على الأرض، كما أن ادعاءاتهم القيام بدور الزعيم الكبير في العالم وفشلهم الذريع قد جردت هذه الأنظمة الفوضوية من كل اعتبار وتقدير في أعين الشعب الإسلامي.

وانطلاقا من هذا الوضع، فإن أعين الحكام الدمى تتطلع إلى إيران في خوف ووجل في حين أن أعين الشعوب الإسلامية ترقبها في أمل. فالمثال الرائع لقومة إخواننا الإيرانيين ووعيهم السامي بالانتساب إلى الأمة التي مصيرها الدفاع عن الإنسانية المحتقرة دون أي اعتبار للفوارق، تمثل أسس النهضة الإسلامية الجديدة: أما أولئك الذين لا يريدون أولا يجرأون على مجابهة هذا المستقبل ويساهمون في الجوقة التي تنظمها أمريكا ضد الخميني والثورة الإسلامية، فإنهم يقدمون الدليل على رداءة أسلوبهم في إخفاء ارتباكهم خلف مقطوعات نثرية جامحة وغير متزنة. أما أولئك «التقدميون» الموجودون بيننا الذين

يحتفلون على أعمدة صحفهم بهذه الثورة ليستنجدوا بعض الاهتمام في الاســتماع إليهم فإن بإمكانهم الدخول بقدم راســخة إلى حلبة التاريخ الذي يتكون باسـم الإسـلام لصـالح الإنسـانية جمعاء. ولن يتطلب منهم الأمر أكثر من مراجعة معتقداتهم، فيهجرون ماركس وفرويد ليرجعوا إلى الله ورسـوله، وليكونوا إلى جانب الشـعب متجردين من كل الخلفيات وكل أنواع الديماغوجية.

إن من فضــائل الإســلام الخاصــة به أن يترك باب التوبة والندم مفتوحا أمام خصـومه وأعدائه بالأمس وأن يرفض تصـفيات الحسـاب والانتقامات، بل يرفض حتى النقد الذاتي الذي يحط من قدر الإنســان أمام المتفرجين. يضرب صفحا عن الماضي بمجرد إعادة الخيرات المنهوبة وفتح صفحة جديدة مع الله ورسوله ومع الإخوة في لقاء جديد.

ولا غرو أن المجرمين أمثـال الشــاه البشــع ومجموعـة الزبـانيـة المتواطئين معه قد اسـتحقوا لما ارتكبوه من شـناعات المصـير الذي كان ينتظرهم كمنبوذين من طرف الإنســانيـة لولا التغطيـة الأمريكيـة. ومسـألة الرهان لا تكون مشـكلة بسـبب تمرد شـعب في حالة غليانه على القواعد والأعراف الدبلوماسية فقط.

بل كذلك بسـبب التعنت الأمريكي في علاج المصـاعب بالوسـائل العنيفة، فهل تفهم روسيا وأمريكا بان الإسلام لا يطالبهما إلا باحترامه؟ وهل تسمحان معا للاستقلال والوحدة الإسلامية أن تكونا حول العالم حزام سلام؟

إن تاريخ الجاهليين وطبيعتهم يبينان لنا أن قانون الأقوى هو الذي يحكم العلاقات بين الناس دائما. والإسـلام الذي هجم هجومه الرائع على سـاحة التاريخ منذ أربعة عشـر قرنا لم يعد يعني أخلاقية هزيلة وكومة من الشعوب الرخوة لتتخلص من حضارة الأشياء، تلك الحضارة المادية التي برحت بها الأزمة. والتي تقف على حافة الكارثة.

مهم ألا يجرفنا سقوط هذه الحضارة فنسقط بدورنا. المهم أن نعثر على الحكمة التي تمكننا من الإفلات مغيرين المناهج لنفكر ولنعيد بناء الفرد الإسلامية.

ليس هذا هو المكان المناسـب ولا الظرف المناسـب لأحدثكم عن المنهاج الإسلامي لأن هناك مواضيع جد ساخنة يجب أن توجه اهتمامنا وتحتكره. إن حريق الصحراء مأسـاة بين مسـلمين، بل إن عددها الآن

ثلاثة، لأن القوميات تنمو وتتصاعد بين المخالب الاستراتيجية للقوتين الأعظم اللتين تقذف كل منهما الأخرى في الصراع الدائر بينهما.

أما نحن الإسلاميين الموجودين بالمغرب فلا نملك الحرية للدخول إلى المسجد لنقول للشعب كيف تولد مآسي القوميات داخل عقليات متخلفة، وكيف تندمج هذه العقليات تحت تأثير الحاجة إلى السلاح والمال في السياسة المهيمنة للقوات العظمى. ليست لدينا الوسائل لنصرح أمام الجميع باستنكارنا للحروب المشتعلة بين الإخوة. وليس لنا الامتداد الكافي لندل على الحل الإسلامي الكفيل بإقرار السلم بين أجزاء شعب واحد قسمته مصائب الفوضى التاريخية. فنحن لا يعترف بنا كأفراد ولا كتنظيم له نفس الحقوق التي يضمنها الدستور لكل من له نفس إيماننا بل في قلب الشعب كله وقد تعالى على كل حدود التفرقة.

ولا يستطيع حكامنا الذين اكتسحتهم عاطفة الأحداث وعلمتهم قوة الحركة أن ينتزعوا أنفسهم لفترة من الوقت من الظروف الآنية ليتأملوا هول هذه المآسي. فهم يصمون آذانهم عن النداء وعلينا أن نلزم الصمت أمام الديمقراطية المعلنة من جانب واحد والتي لا يتعدى نظرها أفق الوطنيات الضيقة المغلقة.

إن القوميات ونتائجها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية تعوق سير الإنسان نحو مستقبل كريم حر. فهناك الذين يتحاربون منذ خمس وثلاثين سنة لحساب الآخرين وهم المستضعفون في العالم وهناك الذين يتصرفون في هذه الحروب ويوجهونها منذ اندلاع الشرارة الأولى، ويغذونها ويسيرونها وفق رغباتهم، وهم المستكبرون الأقوياء الذين يريدون توسيع مجال تحركهم، وتجار المدافع الذين يرغبون في تحقيق المزيد من الثراء. لطالما قدمت أرض الإسلام والشعوب الإسلامية في إفريقيا الشمالية وفي غيرها كقرابين للوثن الجاهلي الظمآن لدماء الشعوب.

وسيلقن الواقع المر لطبقتنا السياسية درساً مؤداه أن من مصلحتها قبل فوات الأوان أن تقدر أطروحاتنا بكل ما تملك من هدوء وجدية واضحة نصب عينها الرجوع إلى الله والتوبة النصوح.

أبدا لن يكون العنف استراتيجيتنا، ولن يكون الكذب أبداً تكتيكَنَا.

سيرد هذا الشعب الإسلامي الذي تلتهب ثوراته ويقتل بحركة لن تقع علينا وحدنا شكلها السلبي أو العنيف، فليتحمل كل مسؤوليته حكاما ومعارضة.

إن الغـد للإســلام وهـا هو الطوفـان يحمـل الكثير من الجثـث السياسية. فافهموا هذا جيداً.

شكراً على انتباهكم